ذكريني

للشاعر إبراهيم محمد نجا

إلى « الواحة » التي فارقتها نزوعا إلى الجنات الوارفات ، والروضات الظليلات ، فلما أخفق مسعاى ، عدت أبحث عنها في صحراء الحياة ، فما وجدت لها أثراً !

ذكريني فقد نسيت حياتي ... حين ماتت في مهدها أمنياتي
وأعيدي لي الغناء ؛ فقد صر ... ت حزينا مستغرقا في شكاتي
إن أتى الليل ، فالسهاد مواف ... أو بدا الصبح ، فالملال موات
سئمت نفسي الشكاة ، وضجت ... من لهيب الحرمان والحسرات
ومشى في دمي الفناء ودبت ... في حياتي أشباح وادي الممات
أدركيني قبل الممات ؛ فإني ... رغم ما ذقته أحب حياتي !

كان قلبي يعيش عيش الحيارى ... يقطع العمر هائما في الصحارى
ظامئاً يتبع السراب ، فطوراً ... يتراءى ، وتارة يتوارى
ظل حيران مقفر العمر حتى ... نضر الله ليله والنهارا
فتجليت واحة تنضح الظل ... ونبعاً يشفي الصدى والأوارا
فهفا نحوك الفؤاد مشوقاً ... كالمحب الغريب وافى الديارا
فإذا فيك كل ما كان يغني ... فيه أيامه مني وانتظاراً

عاش قلبي لديك عيشاً رغيداً ... يتغنى مع الحياة سعيدا
غير أن الملال غشاه يوماً ... فاشتهى أن يعيش عيشاً جديدا
وتمنى سهراً كبيراً عميقاً ... وسهولاً فسيحة ونجودا
وبساتين يذهب الطرف فيها ... أينما شاء لا يلاقي حدودا
فهو ما عاش لا يحس ملالا ... أو يرى نفسه تريد المزيدا
هكذا كان الحنين إلى المجـ ... ـهول قلبي ألا يطيق القعودا

فمضى يقطع الفضاء الرحيبا ... حينما الشمس أوشكت أن تغيبا
فإذا الواحة الحزينة تبكي ... ذلك الطائر العزيز الحبيبا
وتناديه في ابتهال حزين ... يجعل القلب موشكا أن يذوبا :
« عد إلى وكرك الحزين المعنّى ... إنه لم يزل أنيقاً رطيبا
كيف ترضى بأن تظل بعيداً ... كيف ترضى بأن تعيش غريبا؟
آه قد ضاع في الفضاء نداءي ... أيها الغائب الذي لن يؤوبا »

أين تمضي بموكب الآمال ... يا شقيق الأوهام ، يابن الخيال؟
ذهبت حقبة ، ومر زمان ... بينما لا تزال وهن الرمال
تارة تهبط الوهاد ، وطوراً ... تتسامى إلى متون الجبال
أين تمضي ، وما ظفرت بشيء ... بعد طول المسير والترحال ؟ !
هذه هوة يروح بها المو ... ت ويغدو في موكب الأهوال !
فانظر الآن كيف ضيعك الشو ... ق إلى عالم بعيد المنال !

أيها القلب قد خدعت خداعاً ... حينما همت في الفيافي انتجاعا
وأضعت الشباب مني هباء ... أترى ترجع الشباب المضاعا ؟
وجعلت الأوهام ينهبن عمري ... فغدا بينهن نهباً مشاعا !
عجباً ! كيف تترك الماء صفواً ... ثم تطوي إلى السراب البقاعا؟!
كيف تمضي وما ترد نداء ؟ ! ... كيف تمضي وما تقول وداعا؟!
عد إلى وكرك القديم مشوقاً ... قبل أن تمضي الليالي سراعاً

عاد قلبي إلى الوراء حزيناً ... يقطع البيد باكياً مستكيناً
ويرد الأوهام عنه فتمضي ... ليت قلبي يرد عنه السنينا !
آه اطال المسير من غير جدوى ... فاشتهى القلب أن يعود دفينا
وبدا اليأس في الرمال يغني ... لحنه الموحش الكئيب الحزينا!
وأظل المساء قلبي ، فما تسـ ... ـمع إلا نواحه والأنينا !
أيها القلب قد تحيرت حتى ... صرت ياقلب في الرمال سجينا!

أنا ما زلت في ربيع الحياة ... كيف أرضى بهذه التضحيات؟!
كيف أحيا هنا مع اليأس وحدي ... مبعداً عن مطارح الصبوات؟!
كيف أحيا مقيداً بنواحا ... تي ، وكيف العزاء عن أغنياتي؟!
كيف أسلو التي أظلت حياتي ... بظلال من الهوى ساحرات؟!
بين أحضانها وجدت لروحي ... مأمنا من مصارع الآفات
وعلى مهدها استراح شبابي ... بعد ما هام في لهيب الفلاة

أين يا ليل واحتي الخضراء ؟ ... أين يا ليل ظلها والماء ؟
قد تولى الضياء ، وهو أنيسي ... كيف أمضي ، وقد تولى الضياء؟
أتمنى ، فما تفيد الأماني ! ... وأنادي ، فما يفيد النداء !
أسفاً للشباب مات لياليـ ... ـه ، فمات الهوى ، ومات الرجاء!
أسفاً للحياة أمست فناء ... قبل أن يدرك الحياة الفناء !
إنني ها هنا سأدفن نفسي ... فاسكبي الدمع ، وانديني ياسماء

ابراهيم محمد نجا